

... ثُمَّ قَدَّمَهُ فَضْرَبَ عُنُقَهُ ...

في بدايات السنة الثامنة للهجرة ، بعث رسول الله ﷺ الحارث بن عمير الأزدي إلى ملك بصرى بكتابه ، فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فقال: أين تريد؟ ، قال الشام ، قال: لعلك من رسل محمد؟ .

قال: نعم ، أنا رسول رسول الله ، فأمر به فأوثق رباطاً ثم قَدَّمَهُ فَضْرَبَ عُنُقَهُ صَبْرًا ، ولم يُقتل لرسول الله ﷺ رسولٌ غيره ، وبلغ رسول الله ﷺ الخبر فاشتد عليه ، وندب الناس ، وأخبرهم بمقتل الحارث بن عمير ومن قتله ، فخرج ثلاثة آلاف إلى مؤتة^(١) .

ثم قال الرسول ﷺ: «أمير الناس زيد بن حارثة ، فإن قُتل فجعفر بن أبي طالب ، فإن قُتل فعبد الله بن رواحة ، فإن قُتل فليرتض المسلمون بينهم رجلاً فيجعلوه عليهم» . ثم عقد لواء أبيض ودفعه إلى زيد بن حارثة^(٢) .

ولما حانت لحظات الوداع ، حضر الناس توديع أمراء الجيش ، فلما وُدِّع عبد الله بن رواحة مع من وُدِّع من أمراء رسول الله ﷺ بكى .

فقالوا: ما يبكيك يا ابن رواحة؟ .

فقال: أما والله ما بي حُبُّ الدنيا ، ولا صبايةٌ بكم ، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آيةً من كتاب الله عز وجل ، يذكر فيها النار: ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴾ [مريم: ٧١] .

(١) طبقات ابن سعد: ٣٤٣/٤ .

(٢) دلائل البيهقي: ٣٥٩/٤ .

فلستُ أدري كيف لنا بالصّدر بعد الورود ، فقال المسلمون : صحبكم الله ، ودفع عنكم ، وردّكم إلينا صالحين ، فقال عبد الله رضي الله عنه : لكنني أسأل الرحمن مغفرةً وضربةً ذات فرع^(١) تقذف الزّيدا أو طعنةً بيدي حرّان مجهزةً بحربةٍ تُنفذ الأحشاء والكبدا حتى يُقال إذا مرّوا على جدثي^(٢) أرشده الله من غازٍ وقد رشدا^(٣) ووقف الرسول ﷺ يوصي الجيش ، فقال : «اغزوا باسم الله ، فقاتلوا عدوّ الله وعدوّكم بالشام ، وستجدون فيهم رجالاً في الصّوامع مُعتزلين من الناس ، فلا تعرضوا لهم ، وستجدون آخرين للشيطان في رؤوسهم مفاحص^(٤) فافلقوها بالسيوف ، ولا تقتلوا امرأةً ، ولا صغيراً ضرعاً^(٥) ، ولا كبيراً فانياً ، ولا تقطعن شجرةً ، ولا تعقرن نخلاً ولا تهدموا بيتاً»^(٦) .

هكذا ، فلتتعلم الدنيا من نبيّ الرحمة ﷺ الأخلاق الفاضلة ، والتعامل الرائع مع الآخرين ، عسى أن تسعد في الدارين .

* * *

(١) أي : واسعة يسيل دمهها .

(٢) أي : قبري .

(٣) عيون الأثر : ١٥٣ / ٣ .

(٤) أي : مواضع .

(٥) أي : النحيف الضاري الجسم .

(٦) سنن البيهقي : ٩١ / ٩ .